MUDALLA : PROCEEDING INTERNATIONAL CONFERENCE ON ARABIC LANGUAGE
ISSN : 2807-8780
(MUDALLA) المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها وتعليمها
قسم الأدب العربي جامعة مالانج الحكومية

القضية الوجودية والعقدية في القرآن الكريم: دراسة في دلائل المسلمين

The existential and doctrinal issue in the Holy Qur'an: A study of Muslim evidenc

د. أنس بوسلام
مفتش تربوي، وحاصل على درجة الدكتوراه، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء- المغرب
البريد الإلكتروني : anassbou352@gmail.com

Abstract

After raising a set of questions, we discuss the theory of knowledge in both Islamic thought and Western philosophy, then we address the existential, doctrinal, and epistemological issue among the Mu'tazila and Ash'aris. We then shed light on the existential and doctrinal issue in the Holy Qur'an, discuss a reconciliatory philosophical proposal, and present the sayings of some jurists and thinkers. Muslims, and we conclude the research by presenting the most important evidence and proofs of Muslims.

Keywords **The existential issue, belief, Islamic thought.**

مستخلص البحث

بعد طرح مجموعة من التساؤلات، نناقش نظرية المعرفة في كل من الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية، ثم نتناول القضية الوجودية والعقدية والمعرفية عند كل من المعتزلة والأشاعرة، ونسلط الضوء بعد ذلك على القضية الوجودية والعقدية في القرآن الكريم، ونناقش طرحا فلسفيا توفيقيا، ونعرض قول بعض الفقهاء والمفكرين المسلمين، ونختم البحث بتقديم أهم دلائل وبراهين المسلمين.

كلمات أساسية القضية الوجودية، العقيدة، الفكر الإسلامي.

المقدمة

يبحث المقال في عدد من القضايا الوجودية والعقدية والمعرفية من خلال معالجة عدد من الأسئلة والإشكاليات مثل قضية معرفة الله ووجوده، ونظرية المعرفة في الفكر الإسلامي وفي الفلسفة الغربية وكذا طروحات المعتزلة فيما يخص المعرفة الحسية والمعرفة العقلية، ورأيهم في مسألة الاجتهاد والتأويل، وتصورهم لإشكالية الحرية والجبر والاختيار وغير ذلك. ثم استعراض أفكار الأشاعرة بخصوص هذا الموضوع، وكذلك استحضار أحد أهم التصورات الفلسفية التوفيقية المتعلقة بهذه القضايا، ويعالج المقال، أيضا، قضية الإلحاد والإيمان، بالإضافة إلى عرض المسألة الوجودية والعقدية في القرآن الكريم، وأخيرا تقديم أبرز البراهين والحجج التي يستدل بها المسلمون على صدق طروحاتهم في هذا الموضوع.

تعتبر الإشكالية الوجودية والعقدية والمعرفية من أعقد الإشكاليات التي مازالت تشكل الهاجس الأول لتجارب حضارية وفكرية عديدة ونخب ومثقفين وفلاسفة وعلماء وغيرهم، والذين حاولوا الحسم في هذا الأمر من خلال تكوين تصور ثابت ومتكامل يطمئنون إليه.

لقد انشغلت الأديان بهذه القضية منذ القدم، وتفاعل معها الفلاسفة والعلماء سواء المسلمون أو الغربيون أو غيرهم، وأُعتبِرت الإشكال الإنساني الأول لدى الفكر الإلحادي، وقد حاول كل طرف مقاربة الموضوع من خلال أسسه الفكرية وخلفياته الإيديولوجية.

طريقة البحث

تساؤلات -1

تزداد القضية الوجودية والعقدية والمعرفية إلحاحا وإشغالا للفكر البشري حينما تُطرح أسئلة من قبيل:

- هل هناك فعلا ذات إلهية؟ وكيف خلقت من العدم؟ ومتى؟ ولماذا؟ وما طبيعة الوجود قبل ذلك؟
- كيف هي كينونة هذه الذات؟ وما صفاتها بالمنطق العلمي؟
- متى خلق الإله هذا الكون ولماذا؟ وما موقع الإله من هذا الكون؟
- هل للكون حدود؟ وما هذه الحدود؟ وماذا يوجد بعد نهاية تلك الحدود؟ وما طبيعة الوجود أو المادة بعد تلك الحدود المفترضة؟
- ما طبيعة المادة التي خلق منها الكون؟ وكيف وجدت هذه المادة أصلا؟

ما أصل الإنسان؟ وكيف تطور؟ -

هل هناك حياة أخرى في هذا الكون؟ -

هل يمكن اعتبار الصدفة – ببساطة – المسؤولة عن خلق الكون والإنسان؟ -

كيف يمكن تصور هذه القوة الماورائية الإلهية التي استطاعت خلق كون يعجز - الإنسان حتى عن تصور أبعاده المكانية والزمانية بدقة، قوة قادرة على الخلق من العدم وعلى البعث والإحياء...؟ وهل هناك – فعلا- بعث وإحياء وحساب ثم عقاب أو ثواب؟

هل يعتبر الدين مجرد مرحلة في مسار تطور إنساني كبير يشمل الأسطورة والعقلانية - وغيرهما، وسيعرف المستقبل مرجعيات فكرية أخرى تقدم طروحاتها الخاصة، والتي ستتجاوز المرجعيات المذكورة أم أن الدين قدم – فعلا – أجوبة حاسمة فيما يتعلق بالقضية الوجودية؟

ما طبيعة المعرفة من الناحية الإبستيمولوجية؟ وما خصائصها؟ وما أنواعها؟ -

متى نعتبر المعرفة معرفة حقا: هل حينما نتوصل إليها بالحواس أو بالعقل أم - بالدين... أم بهذه الوسائل جميعا؟

لقد راودت مثل من الأسئلة الشكية والوجودية حتى الأنبياء والرسل، ولنا في قصة إبراهيم خير مثال في هذا الشأن. قال تعالى: "وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم" (البقرة: 260).

وفي هذا السياق نتساءل: هل مثل الإسلام الحقيقة الناجزة المطلقة في هذا الشأن؟ وما الذي يدلل على ذلك، خاصة إذا علمنا أن باقي الأديان، هي الأخرى، ترافع بامتلاكها هذه الحقيقة؟

وبالمقابل، هل قدم الفكر الإلحادي واللاديني الأجوبة الشافية والمطمئنة لهذا الأرق الوجودي الذي يعيشه تيار واسع من الإنسانية اليوم؟ أم أن هذا الفكر يثير من الزوابع أكثر مما يمنح من الأجوبة؟

إن من ضمن ما يزيد هذه الشكوك والهواجس لدى البعض رفض هؤلاء أن تكون إراداتهم رهن قوة ماورائية عليا، وبالمقابل رغبتهم في أن يكونوا أسياد "اختيارهم أو إرادتهم أو مشروعهم الوجودي" على حد تعبير الفيلسوف الوجودي جون بول سارتر.

وفي سياق ما قدمه الغرب، نتساءل أيضا: ما موقع القضية الوجودية من عقلانية الغرب؟ وما محل الإشكالية الوجودية من قواعد العقل والمنطق الأرسطي القائمة على قوانين: الهوية وعدم التناقض والثالث المرفوع والعلية أو السببية؟ وهل قدمت العقلانية المعاصرة خلال القرن 19 سواء في الفلسفة أو العلوم إسهاما في هذا الشأن؟ وهل سيبقى الخلاف قائما بين العلم والدين فيما يخص هذه القضية أم أن الخلاف متوهم، فـ"الحق لا يُضاد الحق بل يوافقه ويشهَد له"().

2- القضية الوجودية والعقدية في القرآن الكريم

من الآيات القرآنية التي تتناول جانبا مهما من القضايا الوجودية والعقدية قوله تعالى: "الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل

شيء عليم"( )، وقوله سبحانه: "قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفؤا أحد"( )، وهي آيات مازالت تطرح أكثر من تساؤل على مستوى التفسير والتأويل والتصور.

يُضاف إلى ذلك ما أثير حول الإسراء والمعراج. قال تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا"( )، وقال عز وجل: "ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى"( )، وقال سبحانه: "ولقد رآه بالأفق المبين"().

هل تمثل الأسئلة التي طرحناها ترفا فكريا لا طائل منه؟ وهل يكفي القبول بوجودنا هكذا، وببساطة، وأن نسأل في "إطار الوجود" لا "عن الوجود" في حد ذاته وعلّياته؟

أليس من القاسي الإقرار بوجود حدود لتفكير العقل كما ذهب إلى ذلك بعض الفلاسفة مثل كانط والعديد من المفكرين والفقهاء والأئمة مثل موقف مالك الذي ذكرناه آنفا؟

لكن، أليس في طرح مثل هذا الأسئلة الأخيرة مجاوزة لحدود العقل وافتئاتا على حكمة إلهية لا نعلمها ولا ندرك أسرارها؟

3- قول بعض الفقهاء والمفكرين المسلمين

لقد رفض العديد من أئمة الإسلام الدخول في مثل هذه الإشكالات الوجودية والعقدية، ومن بينهم الإمام مالك لما سئل عن الاستواء، قال: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"، وذلك اتساقا مع قوله سبحانه: "ليس كمثله شيء

وهو السميع البصير"( )، فنفى الله عن نفسه مماثلة الخلق وأثبت لنفسه السمع والبصر على الوجه اللائق به وهكذا بقية الصفات.

في كتاب "حوار مع صديقي الملحد" للمفكر المصري مصطفى محمود يخاطب هذا الصديق المؤلِّف قائلا: أنتم تقولون: أن الله موجود، وعمدة براهينكم هو قانون "السببية" الذي ينص على أن لكل صنعة صانع فالخبز يدل على الخباز والنسيج على النساج والنقش على النقاش والكون بهذا المنطق دليل على وجود إله كلي القدرة. صدّقنا وآمنا بهذا الخالق ... ألا يحق لنا بنفس المنطق أن نسأل ومن خلق الخالق...، من خلق الخالق... من خلق الله الذي تحدثوننا عنه...؟

ويجيبه مصطفى محمود: سؤالك فاسد... فأنت تسلم بأن الله خالق ثم تقول من خلقه؟! فتجعل منه خالقا ومخلوقا في نفس الجملة وهذا تناقض والوجه الآخر لفساد السؤال أنك تتصور خضوع الخالق لقوانين مخلوقاته، فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان. والله الذي خلق الزمان والمكان هو بالضرورة فوق الزمان والمكان ولا يصح أن نتصوره مقيدا بالزمان والمكان ولا بقوانين الزمان والمكان. والله هو الذي خلق السببية فلا يجوز أن نتصوره خاضعا لقانون السببية الذي خلقه().

ويتابع مصطفى محمود مجيبا صديقه الملحد: وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التي تتحرك بزمبلك وتتصور أن الإنسان الذي صنعها لابد هو الآخر يتحرك بزمبلك.. فإذا قلنا لها بل هو يتحرك من تلقاء نفسه.. قالت: مستحيل أن يتحرك شيء من تلقاء نفسه.. إني أرى في عالمي كل شيء بزمبلك . وأنت بالمثل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجِد().

ويعزز مصطفى محمود رده بقول أرسطو: "إن الكرسي من الخشب والخشب من الشجرة والشجرة من البذرة والبذرة من الزارع... واضطر إلى القول بأن هذا الاستطراد المتسلسل في

الزمن اللانهائي لا بد أن ينتهي بنا في البدء الأول إلى سبب في غير حاجة إلى سبب... سبب أول أو محرك أول في غير حاجة إلى من يحركه... خالق في غير حاجة إلى خالق".

ويدعم المفكر المصري جوابه بقول ابن عربي:"سؤال من خلق الخالق؟" سؤال لا يخطر إلا على عقل فاسد، فالله هو الذي يبرهن على الوجود فلا يصح أن نتخذ من الوجود برهانا على الله".

كما يستشهد بقول الله في حديث قدسي:" أنا يستدل بي ...أنا لا يستدل علي"().

ويرى مصطفى محمود أنه لو قلنا أن كل هذا جاء صدفة.. لكنا كمن يتصور أن إلقاء حروف مطبعة في الهواء، يمكن أن يؤدي إلى تجمعها تلقائيا على شكل قصيدة شعر لشيكسبير بدون شاعر وبدون مؤلف().

4- دلائل وبراهين المسلمين

يستدل المسلمون بمجموعة دلائل وشواهد عقلية وروحية تؤكد صحة ما جاء به القرآن الكريم عن وجود الله وتوحيده وغير ذلك من الإشكالات، ومن هذه الدلائل:

- دليل الخلق

لقد تناول القرآن الكريم قضية الخلق والتدبير تناولا فريدا، وعُني بتوجيه العقول إلى النظر في آفاق الكون وآيات الله الكثيرة، وأهاب بالعقل أن يستيقظ من سُباته، ليتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وما أودع فيها من الآيات.

وخلاصة هذا الدليل: أن هذا الخلق بكل ما فيه شاهد على وجود خالقه، قال تعالى: "أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. أم خلقوا السماوات وَالأرض بل لا يوقنون"( ) يقول

لهم: أنتم موجودون، هذه حقيقة لا تنكرونها، وكذلك السماوات والأرض موجودتان، وقد تقرّر في بداهةِ العقول أن الموجود لابد من سبب لوجوده.

فهـذا الإمام أبو حنيفة يعرِض له بعض المنكرين للخالق، فيقول لهم: ما تقولون في رجل يقول لكم: رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأنفال، قد احتوشتها في لُجَّة البحر أمواجٌ متلاطمة، ورياحٌ مختلفة، وهي مِنْ بينها تجري مستويةً، ليس لها ملاّح يجريها، ولا متعهِّد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل؟ قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل. فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجزْ في العقلِ سفينةٌ تجري في البحر مستويةً من غير متعهِّد ولا مُجْرٍ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغيُّر أعمالها، وسَعَة أطرافها، وتباين أكنافها، من غير صانع ولا حافظ؟! فبكوا جميعا، وقالوا: صدقتَ وتابوا. هذا القانون الذي سلّمت به العقول، وانقادت له، هو الذي تشير إليه الآية الكريمة: "أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون".

دليل الفطرة -

إنّ معرفة الخالق والإقرار بوجوده تبارك وتعالى وربوبيته أمر بدهي مغروس في نفوس الناس وفطرهم، إذ لو تُرك الإنسان في مكان خالٍ لا يوجد فيه أحد، بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية، وعن كل الشوائب العقدية، لاستطاعَ بفطرته أن يعرف أن لهـذا الكون خالقا مدبرا ومتصرفا، ثم بفطرته يتوجه لمحبة خالقه. ودليل الفطرة هذا دلّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"( ). فالمقصود بالفطرة هنا الإسلام، فالله جل جلاله فطر الناس على دين الإسلام والتوحيد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما

تنتج البهيمة جمعاء بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»( )، وفي الحديث القدسي: «يقول تبارك وتعالى: إني خلقتُ عبادي حنفاء كلَّهم، وإنّهم أتتهم الشياطينُ فاجْتالَتْهُم عن دينهم»( )، ومعنى (حنفاء) أي: مائلينَ عن الأديانِ كلِّهم إلى دين الإسلام. ومعنى (اجتالتهم) استخفتهم، فجالوا معهم في الضلال.

فإذا حقَّق المؤمن توحيد الألوهية (توحيد العبادة) كان توحيدُ الربوبية محقّقا، لأنَّ توحيد الألوهية (توحيد العبادة) يتضمَّن توحيدَ الربوبية، وبذلك تكون الفطرة قد دلّت على توحيد الربوبية.

دليل الآفاق -

قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أوَلمْ يكف بربك أنه على كل شيء شهيد"( ). فقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق" أي: علامات وحدانيتنا وقدرتنا، وقوله (في الآفاق) يعني أقطار السماوات والأرض: من الشمس، والقمر، والنجوم، والليل، والنهار، والرياح، والأمطار، والرعد، والبرق، والصواعق، والنبات، وغير ذلك مما فيها من عجائب خلق الله. وفي حديثِ العلماء عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما يدلُّ على آيات الله في الآفاق، والتي منها:

نقص الأوكسجين في الارتفاعات: قال تعالى: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون"( ). تنصُّ هذه الآية الكريمة على أن الإنسان عندما يصّعّد في السماء: أي يرتفع في أعالي الجو ـ يضيقُ صدرُهُ، ويشعر بالاختناق، وهذه حقيقة علمية سببها أن نسبة الأوكسجين تقلُّ كلَّما ارتفعنا إلى أعلى، كما يقلُّ الضغطُ الجويّ، وهذان السببان يجعلان الإنسانَ يشعر بضيق النفس.

حركة النجوم والكواكب في مداراتها: كان الناس يرون أن الأرض مركز الكون، ويدور حولها الشمس والقمر والنجوم السيّارة، ويرونَ نجوماً ثابتة طوال السنة، فيصفونها بالثبات، ثم حدث في عصر غاليلو رأي يعتبر أن الأرض هي التي تدورُ حولَ الشمس، وأنَّ الشمسَ هي مركزُ الكونِ. أمّا القرآن الكريمُ فقد رفضَ قبلَ ذلك جميع الآراء التي تزعمُ أنّ للكونِ مركزاً ثابتاً، قال تعالى: "وكلٌّ في فلك يسبحون"( )، وكانَ ذلكَ في عصره سبْق علمي. وقال تعالى: "فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم"( )، فقد وجد العلماء أن مواقع النجوم ومساراتها ليست اعتباطية، فالكوكب وضع في مسار بحيث لا تؤدي قوى التجاذب الكونية الكثيرة والقوى النابذة الناشئة عن الدوران إلى اضطراب كوني، ولقد اختِيْرَ له المسار الذي يحقق له التوازن بين تلك القوى الكثيرة. ووجد العلماء، أيضا، أن أبعاد المجموعة الشمسية تتبع سلسلة حسابية، وأنّى للعربي الجاهلي الذي كان يرى النجوم مبعثرة في صفحة السماء أن يعرف من تلقاء نفسه أن لمواقعها شأن عظيم.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها أيضا، كروية الأرض ودورانها حول نفسها وتعاقب الليل والنهار الناجم عن ذلك. قال تعالى: "يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل"().

دوران الأرض والجبال: قال تعالى: "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كلّ شيء"( ). لقد كان الناس قديما يرون أن الأرض وجبالها ثابتة، بل يضربون المثل بثباتها، فجاء القرآن الكريم ليخالف ما ألفه الناس، واستقر في أذهانهم، وتحدَّثَ عن ظاهرةٍ كونية، فقال عن الجبال: إنها تمر مر السحاب، أي إن الجبال كالسحاب، فكما أنّ السحاب لا يتحرك ذاتيا إلا إذا كان هناك شيء يدفعه إلى التحرك، والذي يحرك السحاب ويدفعه هي الرياح، فكذلك الجبال لا تتحرك بنفسها، لأنها أوتاد

الأرض، ولكن تتحرك، وحركتها تابعة لحركة الأرض، فالأرض تتحرك وتدور، وإلا فكيف تتحرك الجبال، وتمر مر السحاب، وهذا من صنع الله الذي أتقن كل شيء، حينئذٍ يكون هناك يقين ثابت.

حاجز بين بحرين مالحين: قال تعالى: "مَرَجَ البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان"( ). تتحدث الآيات الكريمة عن بحرين يتلاقيان، وفي مكان تلاقيهما يوجد حاجز، والظاهر أنها تتحدّث عن بحرين حقيقيين مالحين، وليس عن بحر ونهر، لأنّه قال: "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" وهو الخرز الأحمر ـ لا يخرجُ إلا من المياه المالحة، فالآية الكريمة إذاً تتحدث عن حاجز حقيقي بين بحرين مالحين في مكان تلاقيهما، والبحران يتلاقيان في المضايق، لأنه، إن لم يكن هناك مضيق، فليس من مسوِّغٍ لاعتبارهما بحرين، بل يكونان بحرا واحدا، إنّ هذا الذي أثبتته الآية الكريمة مستغرب جدا في عرف الناس، إذ الانطباع السائد أن المياه المتلاقية لا حواجز بينها، وما كان أحد يعرف هذه الحقيقة، ولا تخطر له على بال، إلى أن اكتُشفت عام 1962 م، وثبت أنّ ما قاله القرآن الكريم حقيقة مدهشَة.

اهتزاز الأرض وزيادتها بالمطر: قال تعالى: "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج"( ). إن العلم يؤكد أن الأرض تهتز فعلا بنزول الغيث عليها، فالحبوب والبُصيلات والدّرنات والحويصلات والبكترية والجراثيم كلُّها تبدأ بالحركة والانقسامات الخلوية، وامتصاص الماء، وتحليل الغذاء المعقّد إلى وحدات أقل ارتباطا، وأكثر عددا، وأكبر حجما، وبامتلاء مسامِّ الأرض بالماء تتحرّك جزيئات الطين، وتبدأ عملية تأيُّنٍ عجيبة في جُزَيئات التربة، وتنشط الديدان الأرضيّة في شق الأنفاق الأرضيةِ، وابتلاع كميات كبيرة من التربة المتلاصقة، وإخراجها بعد ذلك مفككة، كلُّ هذه

النشاطات تؤدي إلى زيادةِ حجم التربة، ويمكنُنا رؤية صورة مصغّرة لهـذه العمليات بتخمير العجين، وزيادة حجمه، نتيجة نشاط خلايا الخمائر، وفي التربة تحدثُ ضروب كثيرة لمثل هذا النشاط، من كلّ ما سبق نجدُ التوافق بين ما عرفه العلم وما وصفه القرآن الكريم.

أوهن البيوت: قال تعالى: "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل

العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون"( ). إن قوله سبحانه: "لو كانوا يعلمون" وقوله بعد ذلك: "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"( ) يشيران إلى أن وهْن بيت العنكبوت المتحدَّث عنه وهْنٌ غيرُ ظاهر ولا معروف لدى عامة الناس، وقد ضُرِبَ هذا الوهنُ مثلاً لموالاة الكافرين بعضهم لبعض، فماذا وجد العلماء عند دراسة العنكبوت؟ وجدوا أن الروابط بين أفراد العنكبوت في غاية التفكّك، فالأُنثى كثيرا ما تأكل الذكرَ بعد التلقيح، وقد تأكل أبناءها، والأبناءُ يأكل بعضهم بعضا، فهو بيت متفكّك متداعٍ، وذلك مثلُ موالاةِ الكافرين بعضهم بعضا.

تتعدد الحقائق العلمية الثابتة والمقطوع بها التي قدمها القرآن الكريم في فترة تاريخية متقدمة بالنظر لمستوى البحث العلمي، وهنا لا نريد أن نغرق في ما يسمى "الإعجاز العلمي" كما يفعل الكثيرون من المتحمسين، فيسارعون إلى البحث عما يتناسب مع أي مستجد علمي حتى وإن لم تثبت وتستقر علميته بشكل ناجز ومطلق، فالقرآن معجز بذاته ولا يحتاج لمن يدعمه أو لمثل هذا النوع من المراهقة البحثية.

شهادة الخصوم والأغيار: من بين هذه الشهادات أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا! قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له،

أو أنك كاره له، قال:وماذا أقول؟! فوالله، ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن مني، والله، ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله، إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: (هذا سحر يؤثر) يأثره عن غيره، فنزلت: "ذرني ومن خلقت وحيدا". هذا إضافة إلى شهادات العديد من المستشرقين والمفكرين الغربيين، ومن بينهم كوستاف لوبون ولامارتين وطوماس أرنولد وغيرهم.

- عدم تناص القرآن مع البنية الفكرية أو الأدبية أو الاجتماعية...القائمة: حيث مثل هذا الكتاب نصا لغويا مخالفا للشعر أو الأدب السائدين، كما أنه جاء بطرح اجتماعي يهدم البنية الموجودة آنذاك والقائمة على السادة والعبيد والولاء القبلي... والأمثلة على هذا التعارض كثيرة.

- الانسجام وعدم التناقض في بنية القرآن الكريم: هذا ما نفهمه من قوله تعالى: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"().

- الأمور والأحداث الغيبية التي تنبأ بها القرآن الكريم: من بين شواهدها تنبؤه بانتصار الروم على الفرس. قال تعالى: "ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين"().

- النظام الذي يسير فيه الكون: وهو نظام من الصعب، إن لم نقل من المستحيل، أن يكون وليد الصدفة، ويستحيل معه أيضا أن يكون خاضعا لأكثر من قوة إلهية أو رب واحد. قال تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"( )، وهذا ما دعا العديد من مشاهير الملحدين إلى مراجعة أفكارهم مثل الفيلسوف البريطاني أنطوني فلو، فبعد أن ألف كتابه:

عاد في أواخر حياته ليؤلف كتاب "هناك إلٰه " there is no god :"ليس هناك إلٰه there is a god"().

وعموما، فالأدلة والبراهين التي يرافع بها المسلمون على صدق طرحهم فيما يخص القضية الوجودية والعقدية عديدة، إنما اخترنا في هذا المحور ذكر بعض أبرز النماذج عنها().

خاتمة

لا يختلف اثنان على كون القضايا التي تطرقنا إليها في البحث مثلت وتمثل أحد أبرز القضايا والإشكالات الفلسفية والدينية والعلمية التي أرّقت الفكر الإنساني، ويعتبر مقالنا هذا مساهمة في التراكم البحثي والتأملي الخاص بهذه القضية.

وتظل الفكرة الوجودية والعقائدية والمعرفية محل خلاف بين عدد من الحقول والتصورات: إلحادية، ودينية، وفلسفية، وتجريبية، وعلمية ... بل إن هذا الخلاف، يوجد داخل كل حقل أو تصور من التصورات المذكورة. وفي هذا المقال، حاولنا طرح الأسئلة والدعوة إلى توسيع نطاق التفكير أكثر من تقديم إجابات جاهزة.

الهوامش

(1) ابن رشد، أبو الوليد، فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال (القاهرة: دار المعارف، ط 3، د.ت)، ص. 31 - 32.

(1) سورة النور، الآية 35.

(1) سورة الإخلاص، الآيات 1 - 4.

(1) سورة الإسراء، الآية 1.

(1) سورة النجم، الآيات 6 - 18.

(1) سورة التكوير، الآية 23.

(1) سورة الشورى، الآية 11.

(1) محمود، مصطفى، حوار مع صديقي الملحد (بيروت: دار العودة، 1986)، ص. 7 – 8.

(1) المرجع نفسه، ص. 8.

(1) المرجع نفسه، ص. 9.

[1] المرجع نفسه، ص. 9 – 10.

[1] سورة الطور، الآيتان 35 – 36.

[1] سورة الروم، الآية 30.

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، الجزء 1، تحقيق: مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير، 1987، ط 3)، ص. 456.

[1] الموسوعة العقدية، موقع "الدرر السنية"، تم الولوج بتاريخ: 2025/03/16، في: https://dorar.net/aqadia/98/%C2%A0%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%B9%D8%B4%D8%B1:-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D8%A9

[1] سورة فصلت، الآية 53.

[1] سورة الأنعام، الآية 125.

[1] سورة يس، الآية 40.

[1] سورة الواقعة الآيتان 75 – 76.

[1] سورة الزمر، الآية 5.

[1] سورة النمل، الآية 88.

[1] سورة الرحمن، الآيات 19 – 22.

[1] سورة الحج، الآية 5.

[1] سورة العنكبوت، الآية 41.

[1] سورة العنكبوت، الآية 43.

[1] سورة النساء، الآية 82.

[1] سورة الروم، الآيات 1 - 3.

[1] سورة الأنبياء، الآية 22.

[1] يُنظر: فلو، أنتوني، هناك إله: كيف غير أشهر ملحد رأيه، ترجمة صلاح الفضلي (العتبة العباسية المقدسة، 2015).

[1] للتوسع أكثر في هذا الموضوع، يُنظر: الصّلابي، علي، الإيمان بالله جلّ جلاله، دار المعرفة (بيروت: دار المعرفة، 2011، ط 1)، ص. 41 - 50، ويُنظر: الكبيسي، محمد عياش، المحكم في العقيدة (القاهرة: المكتب المصري الحديث، 2012)، ص. 65 - 66، ويُنظر، أيضا، الكيلاني، علي بن عبد الحفيظ، المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار، الجزء 1 (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 2007، ط1)، ص. 368، ويُنظر،

كذلك، سليمان، عمر وآخرون، العقيدة في الله: العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (بيروت: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2004)، ص. 236.

البيبليوغرافيا

- القرآن الكريم.

- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، الجزء 1. تحقيق: مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير، ط 3، 1987.

- ابن رشد، أبو الوليد. فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. القاهرة: دار المعارف، ط 3، د.ت.

- سليمان، عمر وآخرون. العقيدة في الله: العقيدة في ضوء الكتاب والسنة. بيروت: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2004.

- الصّلابي، علي. الإيمان بالله جلّ جلاله. بيروت: دار المعرفة، ط 1، 2011.

- فلو، أنتوني. هناك إله: كيف غير أشهر ملحد رأيه، ترجمة صلاح الفضلي. العتبة العباسية المقدسة، 2015.

- الكبيسي، محمد عياش. المحكم في العقيدة. القاهرة: المكتب المصري الحديث، 2012.

- الكيلاني، علي بن عبد الحفيظ. المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار، الجزء 1. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط 1، 2007م.

- محمود، مصطفى. حوار مع صديقي الملحد. بيروت: دار العودة، 1986.

- الموسوعة العقدية. موقع الدرر السنية. تم الولوج بتاريخ: 2025/03/16، في: https://dorar.net/aqadia/98/%C2%A0%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%B9%D8%B4%D8%B1:-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D8%A9